



مجلة الدراسات الإيرانية
Journal for Iranian Studies

مجلة الدراسات الإيرانية

دراسات وأبحاث علمية متخصصة

مجلة علمية نصف سنوية محكمة تصدر باللغتين العربية والإنجليزية

السنة الخامسة - العدد الرابع عشر - أكتوبر 2021

تصدر عن



RASANA
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

الساحة الكردية كورقة سياسية بين تركيا وإيران

سليمان الوداعي

باحث في الشؤون الإقليمية والدولية بالمعهد الدولي للدراسات الإيرانية (رصانة)

مقدمة

تزخر الساحات الكردية بعديد من التجاذبات السياسية، سواء في ما بين الجماعات الكردية ذاتها، أو في تعاطي تلك الجماعات مع العالم الخارجي حسب المتغيرات الإقليمية والدولية. والطرفان الإيراني والتركي باعتبار المكونات الكردية داخل نطاقهما الوطني يُوليَان ما يجري في ساحات الأكراد الإقليمية قاطبة قدرًا كبيرًا من الاهتمام، سواء داخل أراضيها أو في حيز الدولتين العراقية والسورية، لا سيّما أن الحكومتين المركزيتين في العراق وسوريا مكبلتان بقيود مختلفة تحوّل بينهما وبين بسط سيادتهما على كامل محيطهما الجغرافي. للسياقات التاريخية البعيدة أهمية بالغة في استيعاب الكيفية التي تشكلت بها علاقة تركيا وإيران بالأطراف الكردية، بيد أن السنوات القليلة الماضية كشفت عن تطورات عدّة في الساحات الكردية، تشابكت حولها مصالح الطرفين التركي والإيراني، وتضاربت في منعطفات أخرى بموجب ملامستها لمصالحهما الوطنية.

إقليمياً، كان لاستفتاء استقلال إقليم كردستان عام 2017م مثالب شتت على مكانة وعلاقات الكرد في الإقليم، بيد أن فاعليتهم ظهرت في حرب التحالف الدولي ضد «داعش» منذ عام 2014م، ليعقب ذلك اضطلاع قوى كردية بأدوار مفصلية في الأزمة السورية، مكنتهم من بسط كامل السيطرة على الشمال الشرقي من سوريا. تركيا ردت بعمليات عسكرية ضد معاقل الأحزاب الكردية في الداخل العراقي والسوري، أما إيران فما زالت شارعة في دعم نظام بشار الأسد، لكنها وبهدف السيطرة على المناطق الحدودية مع سوريا أوعزت بمهأم عسكرية إلى الميليشيات الشيعية التابعة لها في العراق، ممّا يقوِّض نفوذ حكومة الإقليم الكردستاني.

على المستوى الدولي، طرأ متغير جديد بقدم إدارة بايدن الديمقراطية إلى سُدّة الرئاسة الأمريكية مطلع العام الجاري، وهي المختلفة في نهجها تجاه الأكراد عن سابقتها، إدارة ترامب، التي انسحبت في عام 2019م من مناطق كردية في الشمال السوري، معرّضة حلفاءها الأكراد للاجتياح التركي، قبل أن تعود وتصحّح قراراتها بالتمركز في قواعد عسكرية حوالى المناطق الغنية بالنفط. في المقابل، تمسك روسيا بزمم الأمر السوري وتتسّق مع تركيا، تارة لتسهيل عملياتها ضد الأكراد، وتارة تتوسط لإبرام الاتفاقيات بين الطرفين التركي والكردى، فيما توفر الغطاء الرسمي لقوات الأسد وحلفائه على الأرض الميليشيات الشيعية الإيرانية.

كل هذه التطورات تقودنا إلى التساؤل الرئيسي: هل الساحات الكردية محطّ تعاون أم تضارب في المصالح بين الجارتين إيران وتركيا؟ هل للكرد جبهة موحّدة؟ وما التمايزات الداخلية في النطاق الكردي؟ ومتى تكون الورقة الكردية مجالاً للتقارب بين تركيا وإيران؟ ومتى تكون موضعاً للخلاف؟ وكيف تستغل كل منهما هذا الملف لنبد الآخر ودفع أجندتها السياسية قُدماً؟

تفترض الدراسة تضارب المصالح التركية مع نظيرتها الإيرانية في ساحات الكرد السورية والعراقية، وإن بدت الورقة الكردية لأول وهلة محطّ التعاون والتسيق بين الطرفين، لكنّ ساحات الأكراد تعجّ بالتنافس والاستغلال التركي-الإيراني، رغبةً من كل طرف في الذود عن مصالحه القومية، أو بسط النفوذ السياسي والإقليمي عبر طرق أيديولوجية وعسكرية واقتصادية.

تعالج هذه الدراسة إشكاليةً وفّق المحاور التالية، أوّلاً: الجماعات الكردية ذات العلاقة بإيران وتركيا.. سماتها ومتغيراتها. ثانياً: العوامل المؤثرة في مواقف الطرفين التركي والإيراني. ثالثاً: أهمّ منعطفات التعاطي التركي والإيراني مع الأكراد. رابعاً: الورقة الكردية ما بين تركيا وإيران.. تقاطع أم تضارب في المصالح؟

جدول (1): الأحزاب الكردية المذكورة في الدراسة واختصاراتها

ملاحظات	الاسم باللغة الإنجليزية	الاختصار	الاسم
كردستان العراق - أربيل - بقيادة عائلة بارازاني	Kurdistan Democratic Party	KDP	الحزب الديمقراطي الكردستاني
كردستان العراق - السليمانية بقيادة عائلة طالباني	Patriotic Union of Kurdistan	PUK	حزب الاتحاد الوطني الكردستاني
مظلة للأحزاب الكردية في سوريا - تأسست في كردستان العراق بإشراف الحزب الديمقراطي الكردستاني	Kurdish National Council	KNC	المجلس الوطني الكردي
حزب تشكل في سوريا منذ عام 2003م ونشط من بعد الثورة السورية عام 2011م	Democratic Union Party	PYD	حزب الاتحاد الديمقراطي الكردستاني
الذراع العسكري لحزب الاتحاد الديمقراطي الكردستاني -سوريا	People's Protection Units	YPG	وحدات حماية الشعب الكردية
معارض للحكومة التركية ويتخذ من جبال كردستان العراق مواقع له	Kurdistan Workers' Party	PKK	حزب العمال الكردستاني

ملاحظات	الاسم باللغة الإنجليزية	الاختصار	الاسم
معارض للحكومة الإيرانية ويوجد في كردستان العراق - يتبع لحزب العمال الكردستاني	Kurdistan Free Life Party	PJAK	حزب الحياة الحرة الكردستاني
معارض للحكومة الإيرانية	Democratic Party of Iranian Kurdistan	KDPI	الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني
حزب معارض للحكومة الإيرانية يُعد نفسه ماركسياً لينينياً	Komala Party of Iranian Kurdistan	Komala	حزب كوملة
وحدات إيزيدية تشكلت للدفاع عن سنجار العراق	Sinjar Resistance Units	YBS	وحدات مقاومة سنجار
وحدات إيزيدية تشكلت للدفاع عن سنجار العراق	Ezidkhan Protection Force	EPF	قوات حماية إيزيدخان

* تُستخدم الاختصارات بالأحرف الإنجليزية للتدليل على الأحزاب المعنية في الدراسة.

أولاً: الجماعات الكردية ذات العلاقة بإيران وتركيا.. سماتها ومتغيراتها

ابتداءً يمكن استيعاب المتغيرات الداخلية في ما بين الجماعات الكردية، واختلافاتها الحائلة دون نشوء جبهة كردية موحدة، في النقاط الثلاث التالية:

1. التمايزات الكردية-الكردية:

يبرز من الجماعات الكردية في العراق الحزب الحاكم لإقليم كردستان العراق «الحزب الديمقراطي الكردستاني» (KDP)، وشريكه في التجربة الديمقراطية داخل كردستان

العراق «الاتحاد الوطني الكردستاني» (PUK)، كما ينشط في الجبال الكردستانية «حزب العمال الكردستاني» (PKK) المعارض للحكومة التركية، و«حزب الحياة الحرة الكردستاني» (PJAK) المعارض للدولة الإيرانية، فيما يبرز في سوريا «حزب الاتحاد الديمقراطي» (PYD) -ذراعه العسكرية هي وحدات حماية الشعب (YPG)- مهيمناً في القوات السورية الديمقراطية (قسد/SDF)، فضلاً عن «المجلس الوطني الكردي» (KNC).

بخلاف التوجهات السياسية المتباينة لدى مختلف الجماعات الكردية، من ثورية راديكالية لدى حزب العمال الكردي، وديمقراطية غربية لدى حزب «KDP» بفكر محافظ إقطاعي، وقومية يسارية عند حزب «PUK» بميل اشتراكي تقدمي، تكتنف القومية الكردية تباينات أخرى لافتة قد لا تكون محط النظر عند التطرق إلى تطلعات الوحدة لدى الأكراد. فعلى مستويات ثقافية واجتماعية تبرز التمايزات اللغوية، إذ نجد غالبية أكراد تركيا وسوريا وشمال غرب كردستان العراق يتحدثون الكرمانجي (تكتب بأحرف لاتينية)، فيما يتحدث أكراد إيران وجنوب شرق كردستان العراق السوراني (تكتب بأحرف عربية). أمّا دينياً، ففي إيران أكراد شيعة ممن هم على خلاف طائفي مع الأكراد السنة -وهم الأغلب في إيران وتركيا وسوريا والعراق، ولا نغفل عن الإيزيديين الذين يحيطون عقائدهم التبعديّة بهالة من الغموض مخافة التكيل والاضطهاد، ولهم خصائص دينية فريدة تعزى جدلاً إلى أديان قديمة كالزرادشتية وتأخذ عن الإسلام والمسيحية⁽¹⁾.

لا تطف التمايزات في الداخل الكردي عند حدود اللغة والدين، بل تمتد إلى ما خلفته الصراعات العسكرية التاريخية، لا سيّما الحرب الأهلية بين حزبي كردستان العراق «KDP» و«PUK» التي اندلعت في عام 1994م واستمرت حتى عام 1998م، أو الخلافات العسكرية المتجددة ما بين «KDP» و«PKK»، لا سيّما أن الحزب الحاكم في إقليم كردستان العراق «KDP» لا يعارض الضربات التركية المتوالية منذ عقود ضد مواقع حزب «PKK» في جبال قنديل داخل أراضي كردستان العراق.

تلعب الحظوظ الاقتصادية دوراً مهماً في تعميق التفاوت بين الأحزاب الكردية، فالعلاقات الاقتصادية مع تركيا حوّلت حزب بارزاني الحاكم لإقليم كردستان تشييد مشاريع البنى التحتية وحصد الإيرادات المالية، إضافة إلى توطيد مكانته القومية والإقليمية بخلاف نظرائه من الجماعات الكردية الأخرى مثل حزب «PKK» ومن يحذو حذو أيديولوجيته الثورية في الشمال السوري.

التطورات الإقليمية والدولية كان لها أثر جلي في إبراز أحزاب بعينها على حساب الأخرى، فإدراج حزب «PKK» على قوائم الإرهاب لدى كل من تركيا والولايات المتحدة وحلف الناتو والاتحاد الأوروبي وغيرهم من الدول الأوروبية⁽²⁾، أزاحه عن دائرة التأثير على مستوى المجتمع السياسي الدولي، بخلاف ما تحظى به أحزاب كردستان العراق

من اعتراف دولي تبعاً لزلوعهم في أدوار أساسية في الحملات العسكرية الدولية ضد نظام صدام حسين.

2. تطورات ساحة الكرد في العراق:

بعد نشوب الحرب العراقية-الإيرانية، تنبّه الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين إلى إشكالية التمرد الكردي، وكان أبرز مخاوفه تدمير الأكراد أو إيران أنبوب النفط الذي يمرّ بكردستان العراق فتركيا وصولاً إلى أوروبا، وما إن انقضت الحرب مع إيران حتى جنح صدام إلى ارتكاب مجازر مروّعة بحق الشعب الكردي في ما يسمى بحملات «الأنفال»، التي استخدم فيها أسلحة كيماوية وراح ضحيتها 182 ألفاً من المدنيين⁽³⁾، لتكون هذه الحادثة كفيّلة بتوحيد الجهود بين الأكراد، وتأسيس الجبهة الكردستانية بقيادة بارزاني وطالباني معاً، فيما تولّى لاحقاً بارزاني مسؤولية العمل العسكري للبيشمركة، وطالباني مسؤولية العلاقات الخارجية⁽⁴⁾.

أهمّ تطورين داخليين في كردستان العراق خلال تسعينيات القرن الماضي كانا النزاع الدامي الذي دبّ في عام 1992م بين حزب العمال الكردستاني (PKK) والتحالف الكردي في العراق الذي ضمّ «KDP» و«PUK» مدعومين من قبل تركيا، والحرب الأهلية بين الحليفين والحزبين البارزين في كردستان العراق «KDP» و«PUK» مع دخول «PKK» الذي زاد من تعميق الهوة بانخراطه في الحرب لصالح «PUK» ضد «KDP»⁽⁵⁾.

تحقّق لكردستان العراق اعتراف دستور الحكومة المركزية في عام 2005م⁽⁶⁾ بالحكم الذاتي للأكراد على كردستان العراق، لتتبلور تجاربهم إلى إجراءات ديمقراطية تسنّم على إثرها جلال طالباني رئاسة العراق، وغدا مصطفى بارزاني حاكم إقليم كردستان العراق.

أزمة اجتياح «داعش» للأراضي العراقية والسورية ألقت بظلالها على الواقع الكردي، وكان لمعارك تحرير سنجار من احتلال «داعش» دور مهمّ في تغيير الديناميات الكردية في المنطقة. انقضت «داعش» على الأقلية الدينية الإيزيدية لتتكلّ برجالهم وتلحق بذويهم أبشع الجرائم. قوات حزب «PKK» مدعومة من التحالف الدولي وبيشمركة العراق (KDP) وبمساعدة البيشمركة السورية وقوات الحشد العراقي، تمكنت من تحرير سنجار وطرد فلول تنظيم «داعش» منها⁽⁷⁾.

هذا التغيير الدينامي يحمل في طياته مفارقات سياسية بارزة، تمثّلت في تلقي قوات محسوبة على حزب «PKK» الدعم الدولي، وهو المدرج على قوائم الإرهاب العالمية، كما أنه حمل في طياته تعاوناً كردياً مؤقتاً بين الفصائل المتناحرة، وكذلك أفضى إلى تعاظم الدور الكردي في قضايا الإقليم المهمّة، وإلى تمدّد نفوذ قوات حزب «PKK» وتدريبه لمليشيات إيزيدية تدين بالولاء والتبعية له⁽⁸⁾.

في أزمة أخرى مشابهة، خابت آمال الأكراد المشاركين في استفتاء الاستقلال عام 2017م، بعد أن جوبهت مساعي حكومة إقليم كردستان بمعارضة دولية، لا سيّما من الولايات المتحدة الأمريكية، وبمعارضة إقليمية بدت واضحة في ردود الفعل التركية والإيرانية. أمّا على المستوى الكردي الداخلي، فطموحات الاستفتاء قابلها تشكك وتحوُّط من قبل حزب «PUK» النظير المنافس للحزب الحاكم في الإقليم «KDP»، لذا نحا «PUK» نحو التقارب مع أكراد سوريا ذوي العلاقة الوثيقة بحزب «PKK».

3. متغيرات الساحة الكردية السورية:

تأسَّس حزب «PYD» في عام 2003م بغية الدفاع عن حقوق الأكراد في سوريا، وهو لا يخفي تبعيته الواضحة لنهج حزب «PKK». ومنذ انطلاقة التحركات الشعبية في سوريا ضد بشار الأسد في عام 2011م، سعت الجماعات الكردية في سوريا بقيادة «PYD» إلى استغلال إمكاناتهم البشرية والعسكرية بغية الذود عن أراضيهم، وقد تحقَّق لهم ذلك بفضل جهود ذراعه العسكرية، ووحدات حماية الشعب «YPG»، وبدعم منقطع النظير من قبل حزب «PKK» الذي يستوعب منذ زمن أكراداً سوريين يشغلون مناصب قيادية في التراتبية العسكرية لديه⁽⁹⁾.

على النقيض، تأسَّست في أكتوبر 2011م في أربيل، عاصمة إقليم كردستان العراق، مظلة للأحزاب الكردية في سوريا تسير في خط مناوئ لخط حزب «PYD»، أطلق عليها «المجلس الوطني الكردي» (KNC). وقد ضمَّت المظلة ما يصل إلى 13 حزباً كردياً، تشكل معظمها بعد نشوب الثورة السورية، وهي مظلة تتبع أيديولوجياً الفكر السياسي لحزب «KDP» بقيادة بارزاني في العراق، على الرغم من احتوائها على أحزاب يسارية وثورية ناشئة.

أسهمت مظلة «KNC» في تشكيل الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية في عام 2012م، أما ذراعها العسكرية بيشمركة روجافا فقد تشكلت في كردستان العراق وتكوَّنت من أكراد سوريين بلغ تعدادهم ما بين ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف مقاتل، كانوا في غالبهم عناصر كردية انسحبت من الجيش السوري على إثر اندلاع الثورة في البلاد، ومع ذلك لم تقم بيشمركة روجافا بأيّ عمليات عسكرية داخل الأراضي السورية، بل إنَّ بين مجلس «KNC» وحزب «PYD» جدلاً متجدداً حيال مسائل إعادة بيشمركة روجافا إلى الداخل السوري⁽¹⁰⁾.

من المهمّ تسليط الضوء على خريطة الانقسام الكردي في سوريا، فالمجلس الوطني الكردي (KNC) بقيادة «KDP» يحظى باعتراف دوليٍّ وأدمج في كل ما يختص بالمعارضة السورية، علاوةً على انخراطه في محادثات «أستانه» للسلام في سوريا، التي تضمنها الدول الثلاث المضطّعة بالصراع، روسيا وتركيا وإيران. بالمقابل، فإن وشيخة الإخاء بين «PYD» و«PKK» وضعته في مرمى الشبهات الدولية، ودفعت بتركيا إلى معارضة أيّ

محاولة على المستوى الدولي لإشراك الحزب في عمليات التسوية الدبلوماسية في سوريا بغية الحيلولة دون إضفاء الشرعية الدولية على الحزب.

رغم ذلك، تحقّق لحزب «PYD» الشراكة مع الولايات المتحدة بدايةً من معركة كوباني في سبتمبر 2014م، فقد تلقى في أكتوبر من نفس العام الشحنة الأولى من إمدادات التسليح من قبل التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة، وأسفرت تلك الشراكة عن سيطرة «PYD» على المناطق الثلاث المهمّة في الشمال السوري، عفرين والحسكة وكوباني، لتتشكّل من ثمّ قوات سوريا الديمقراطية (قسد/SDF) بتحالف «PYD» مع الشتات المتفرق من العرب والتركمان والمسيحيين⁽¹¹⁾. التهديد الخارجي حثّم على الجماعات الكردية التكتاف ضدّ العدو المشترك، ومعركة تحرير كوباني من «داعش» كانت إحدى هذه اللحظات التي اجتمع فيها القرار الكردي بفضل قوات التواصل التي فعلتها الولايات المتحدة ما بين «KNC» و«PYD» في مدينة دهوك العراقية⁽¹²⁾.

الدور المحوري الذي تصدى له «PYD» وضعه على خريطة الفاعلية السياسية في الأزمة السورية، ومكّنه من خطوة التأثير سواء في مجريات الوقت الراهن أو في المقترحات المستقبلية المطروحة لحلحلة الأزمة السورية. ورغم الهجمات التركية المتوالية على مناطق سيطرة الحزب (سنأتي على تفصيلها في المحور القادم)، ورغم انسحاب الولايات المتحدة وتراجعها إلى مجرد المناطق النقطية في الحسكة عام 2019م، يظلّ حزب «PYD» مسيطراً على أراضٍ شاسعة شرق الفرات في الشمال السوري حتى في ظلّ سقوط عفرين في يد القوات التركية والمعارضة السورية في مارس 2018م⁽¹³⁾.

بناءً على المعطيات السابقة، القومية الكردية ككل لم تحظ بكيان سياسيّ متحد ولم يكن لها جبهة تمثيلية موحدة قط، غير أننا في أكثر من موقف لمحنا تعاوناً مؤقتاً بين الفصائل المتناحرة عند ظهور تهديد وجوديٍّ خارجيٍّ، كما حدث في استيلاء «داعش» على منطقة سنجار وتنكيله بالأقلية الدينية الإيزيدية، أو في سبيل الدفاع عن بلدة كوباني في سوريا بعد اجتياحها من قبل «داعش». وعلى الرغم من ذلك، نجد التشظي العرقي والنزاع الحزبي سمات بارزة بين الأطياف الكردية، لا سيّما حزب العمّال (PKK) بأيديولوجيته الثورية الماركسية، ويحذو حذوه الأحزاب الكردية في سوريا، وعلى وجه الخصوص حزب «PYD»، وحزب «PJAK» في إيران، الذين لا يتحرجون من شهر عدائهم لسياسات الحزب الحاكم في إقليم كردستان «KDP»، فيما يظهر «PUK» متذبذباً في دفاعه عن مصالحه السياسية بالاصطفاف مرات مع «KDP» ومشاركته التجربة الديمقراطية في كردستان العراق، أو الشقاق معه والتقارب مع «PKK» والموالين له.

ثانياً: العوامل المؤثرة في مواقف الطرفين التركي والإيراني تجاه الأكراد

يقع جُلّ الحسابات السياسية المتعلقة بالأكراد في حيز أربعة عوامل تشكّل مواقف الطرفين التركي والإيراني، وهي كالآتي:

1. التطلع الكردي الدائم نحو «دولة مستقلة»:

التطلع الكردي نحو دولة مستقلة يعود إلى عشرينيات القرن العشرين، من بعد تفكك الدولة العثمانية، لكن معاهدة لوزان عام 1923م التي وُضعت على إثرها الحدود الحالية لدولة تركيا، قطعت الطريق على قيام دولة موحدة للأكراد كما تصوّرتها النخب القيادية الكردية آنذاك. واستمرّ النضال الكردي بكل مراحلها خلال القرن الماضي، من قيام جمهورية مهباد شمال غرب إيران بدعم سوفياتي واجهه الشاه البهلوي وحلفاؤه الغربيون بالقمع عام 1947م، والثورة الفاشلة ضد الانتداب البريطاني في العراق، ثم الكفاح المسلح بقيادة مصطفى بارزاني خلال الستينيات في العراق، وصولاً إلى عقد السبعينيات وتخلي شاه إيران والولايات المتحدة عن الأكراد بعد توقيع الشاه اتفاقية الجزائر مع صدام حسين لترسيم الحدود بين الدولتين في عام 1975م⁽¹⁴⁾.

لذا، فإنّ التوجس من الطموح الكردي مُركّز أساسي في تعاطي كل من الدولتين التركية والإيرانية مع الأقلية الكردية بالداخل وأحزاب الأكراد في الخارج، لا سيّما أن حزب «PKK» بدأ عملياته الثورية بغية الانفصال عن تركيا منذ عقد الثمانينيات، كما جوبهت الأحزاب الكردية الإيرانية بالقمع بعد قيام الثورة الإيرانية خوفاً من مطالبات الأكراد بالحكم الذاتي أو الانفصال السياسي. ويظهر تحوّل الدولتين تجاه الطموح الكردي في معارضتهما الحاسمة لمساعي استفتاء استقلال الأكراد في العراق عام 2017م.

2. إشكاليات الأمن القومي والإرهاب:

في الدول الأربع ذات الأقليات الكردية الكبيرة، تبرز إشكاليات أمنية عديدة تفرضها من جهة الحركات الكردية الانفصالية، وتظهر من جهة أخرى كحتمية اجتماعية-سياسية جرّاء السياسات المتخذة حيال ثقافة الأقلية وحقوقها ولغتها ومسائل الاعتراف بها. وقبل التسعينيات كانت الورقة الكردية محط الاهتمام المشترك بين الدول المعنية، ممّا أسفر عن علاقات أمنية فريدة بين بعضها وبعض، إمّا في سبيل إخماد الاحتجاجات الكردية، وإما لمناكفة الدول المجاورة، كما حدث من توظيف سوري-إيراني لورقة الكرد ضد تركيا.

أول اتفاقية أمنية موقّعة بين تركيا وإيران في إطار الورقة الكردية كانت في سبتمبر عام 1993م (دخل العراق طرفاً ثالثاً في الاتفاقية) بغية حفظ الأمن الحدودي. كما سبق للدولتين التركية والإيرانية، بمشاركة سوريا، عقد سلسلة من المؤتمرات منذ عام 1992م، بهدف منع الكرد من تشكيل دولة مستقلة في شمال العراق، واستمرت المؤتمرات تلك حتى عام 1995م عند تفاقم نزاع الحرب الأهلية الكردية لتتدخل تركيا بدعم حزب «KDP»، وإيران بدعم حزب «PUK»⁽¹⁵⁾. وما زالت الإشكاليات الأمنية التي تفرضها الورقة الكردية محفّزاً للبلدين، تركيا وإيران، لتدعيم مجالات التعاون السياسي

بينهما، بتوقيع مذكرات التفاهم بهدف تعزيز الأمن الحدودي ومكافحة الإرهاب لتجنيب التفجيرات المتكررة لأنابيب النفط والغاز على غرار حادثة تفجير مارس عام 2020م⁽¹⁶⁾، الذي عطل تصدير الغاز الإيراني إلى تركيا.

3. ضعف الحكومتين المركزيتين في سوريا والعراق:

ضعف الحكومتين المركزيتين في سوريا والعراق له تداعيات متفاقمة على الوضع القائم في الساحات الكردية، فالحكومة العراقية منذ التسعينيات فقدت السيطرة على الشمال الكردي عام 1992م بموجب الحظر الجوي المفروض من قبل الأطراف الغربية ومجلس الأمن الدولي، وازدادت الحكومة المركزية ضعفاً من بعد عام 2003م جرّاء الانقسامات الطائفية وتعارض المصالح الداخلية التي تغذيها تدخلات الأطراف الإقليمية. وحالة العراق كقوة إقليمية متهاوية حتمت على القوتين الأخريين تركيا وإيران التنافس على بسط النفوذ داخل أراضيها⁽¹⁷⁾.

بالمقابل، تدعم كل من إيران وتركيا طرفي الصراع في الأزمة السورية، إيران تحارب بميليشياتها الشيعية المنضوية تحت لواء قوات الأسد، في حين تؤازر تركيا المعارضة السورية المتمركزة في آخر معاقلها، إدلب. ويتبّع الطرفان إلى ما خلفته الأزمة من فرصة سانحة للأحزاب الكردية لفرض سيطرتها على الشمال الشرقي السوري وسعيها الدؤوب إلى الحصول على الحكم الذاتي، وكل ذلك لم يكن وارداً لولا تفكك النظام السوري المركزي واختلال سيادته على جغرافيا البلد بالكامل.

4. التوظيف الدولي والإقليمي للورقة الكردية:

ينتاب الدولتين الإيرانية والتركية -بتفاوت- عديد من المخاوف إزاء التوظيف الإقليمي والدولي للورقة الكردية ضد مصالحهما الإستراتيجية. ويمكن الإشارة إلى لاعبين دوليين يستغلون الورقة الكردية للدفع بمصالحهم في إقليم الشرق الأوسط والضغط على تركيا أو إيران في سياق علاقاتهم الثنائية بالبلدين، أهمهم الولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا الاتحادية، أما إقليمياً فتبرز إسرائيل شريكاً محورياً للولايات المتحدة في المنطقة.

لطالما حاولت الولايات المتحدة الظهور بمظهر المساند لحقوق الشعب الكردي في تقرير مصيره، ورغم ما ألحقته بالأكراد من خيبات أمل متكررة، فإنها بلا ريب تستغل ورقة الكرد سياسياً في الضغط على الدول الإقليمية. نذكر على سبيل المثال استخدامها وشاه إيران للأكراد في السبعينيات ضد العراق، ثم خذلانهم وتأييد اتفاقية الجزائر عام 1975م. ولحق بتلك الحادثة الاستفادة من الأكراد في حرب الخليج عام 1991م دون دعم الانتفاضة الكردية اللاحقة، التي قُعمت قسرياً من قبل قوات صدام، ليعود الأمريكيون للاستفادة من الأكراد في حرب الإطاحة بصدام عام 2003م.

والحال بالنسبة إلى إيران أكثر خطورة؛ كونها تعارض الوجود الأمريكي بقواعده العسكرية على مقربة من حدودها الغربية، فيما تمتعض من تلاقي المصلحة الإسرائيلية ونظيرتها الأمريكية في سياق ما يليان من اهتمام بالورقة الكردية. أمّا تركيا فتحتاح من الدعم الأمريكي الكامل للأكراد، لا سيّما خلال فترة الحظر الجوي في عقد التسعينيات في شمال العراق، رغم مشاركتها الجوهرية في فرضه. وفي الوقت الراهن، يقلقها الاصطفاف الأمريكي إلى جانب الأكراد في سوريا بحجة القضاء على «داعش». تجدر الإشارة إلى تكهنات صحفية مختلفة عن عرض أمريكيّ لكسب ودّ حزب «كوملة» الإيراني شريطة أن يتخلى عن تبعيته للأيدولوجيا الثورية لحزب «PKK»، وهو ما قابله حزب «كوملة» بالرفض⁽¹⁸⁾، غير أنّ دعم الولايات المتحدة لحزب «PYD»، رغم أنه محسوب على خطّ حزب «PKK»، يثير الشكوك حيال ادعاءات العرض الأمريكي المشروط.

من جانب آخر، دعم الاتحاد السوفييتي قيام جمهورية مهباد شمال غرب إيران، لكنّ شاه إيران استعان بحلفائه الغربيين للإطاحة بها سريعاً بعد أحد عشر شهراً من قيامها. أمّا روسيا وريثة الاتحاد السوفييتي السابق فظلت تستخدم الورقة الكردية في علاقتها الثنائية مع تركيا متى ما دعت الحاجة إلى ذلك، على سبيل المثال ورداً على ردود الفعل السلبية التركية ضد التدخل الروسي في الشيشان في التسعينيات، أثارت روسيا استياء الجانب التركي عبر افتتاحها ما يسمى «البيت الكردي» في موسكو في ديسمبر 1994م، وسماحها لأعضاء حزب «PKK» بالالتحاق بتدريبات عسكرية في يناير 1995م، رغم احتواء الأزمة برفض رئيس الوزراء الروسي آنذاك، بريماكوف، منح زعيم حزب «PKK» حقّ اللجوء إلى روسيا في عام 1998م⁽¹⁹⁾. وفي الوقت الراهن، روسيا فاعل أساسي ومسيطر في الأزمة السورية، ولها اليد الطولى في إقرار الأمن في مناطق التماس الكردي-التركي أو التماس الكردي مع قوات النظام السوري وحليفه على الأرض، الميليشيات الإيرانية.

لذا، يتنبّه الطرفان التركي والإيراني إلى ما تثيره الورقة الكردية من إشكاليات أمنية، وما يعترى جوانب التعاطي معها من مثالب قد تُستغلّ من قبل أطراف دولية أو إقليمية ضد مصالحهما الوطنية والإستراتيجية، فضلاً عن التأثيرات التي تخلفها عوامل أخرى على مواقف البلدين تجاه الأكراد، كضعف الحكومتين المركزيتين في سوريا والعراق، واثقاد الجنوح الكردي نحو دولة مستقلة.

ثالثاً: اتجاهات التعاطي التركي والإيراني مع الأكراد

بعد استعراض متغيرات الساحات الكردية في سوريا والعراق والعوامل المؤثرة في الموقفين التركي والإيراني، يتناول هذا المحور أهمّ منعطفات التعاطي التركي والإيراني مع المتغيرات الكردية، كل على حدة حسب المستويات الداخلية والإقليمية والدولية.

1. التعاطي التركي مع المسألة الكردية:

إحدى أبرز دعائم السياسة الخارجية التركية هي مواجهة التهديد القومي الذي يشكله حزب العمال الكردي (PKK)، فمُنذ انهيار مباحثات السلام التي جرت بين الحكومة التركية والحزب الكردي عام 2013م ولم تصمد أكثر من عامين، شُنَّ الطرفان الحرب بعضهما على بعض. حزب العمال تأسَّس على أيديولوجيا قومية وثورية ماركسية تتشد الانفصال عن تركيا، لكنه مع تطور الأحداث خلال العقود الماضية قيَّد طموحه بحصول الأكراد على حكم ذاتي وتمتعهم بحقوقهم داخل الأراضي التركية. تجدر الإشارة إلى أنَّ تعداد الأكراد في تركيا يصل إلى نحو 20% من إجمالي السكان.

يتعدى أثر الصراع القائم بين تركيا وحزب «PKK» ليشمل الداخل التركي، لا سيَّما تضيق الخناق على مناطق مأهولة بالأكراد بسنَّ قوانين الطوارئ. عقب المواجهات العسكرية مع حزب «PKK»، سَجنت الحكومة التركية الآلاف من المنتسبين إلى حزب الشعوب الديمقراطي التركي والداعم للأكراد، وأقصدت 93 حاكمًا من مناصبهم في الحاضرات الكردية، وأبدلت بهم مفوضين حكوميين⁽²⁰⁾. ورغم عودة حزب الشعوب الديمقراطي إلى الساحة السياسية من بعد انتخابات 2018م البرلمانية ومشاركته الفاعلة ضمن الأحزاب المعارضة للحكومة، فإنَّ حزب الحرية والعدالة بقيادة الرئيس أردوغان وحليفه حزب الحركة القومية ما فتئوا حتى اللحظة يحاولون إقصاء حزب الشعوب الديمقراطي من المشهد السياسي تمامًا، وتمرير تشريعات تخولهم ملاحقة منتسبي الحزب وممثليه البرلمانيين قضائيًا⁽²¹⁾.

سبق لتركيا أن مدَّت يد العون لكلا الحزبين البارزين في الإقليم في صراعهما مع النظام البعثي في العراق خلال عقد التسعينيات، بمساهمتهما في تنفيذ حظر الطيران المفروض من القوى الغربية على المناطق الكردية (عملية توفير الراحة Operation "Provide Comfort" OPC). ولا يمكن تجاهل ما تملكه تركيا تحت تصرفها من امتيازات وأدوات ضغط عدَّة، أهمها: الاعتماد الاقتصادي للإقليم على التبادل التجاري مع تركيا، وكذلك الإيرادات المتحصلة للإقليم من تصدير النفط ومشتقاته إلى الأراضي التركية. سياسة تركيا الخارجية تجاه إقليم كردستان العراق ترمي إلى كبح جماح الطموح الكردي إلى الاستقلال، وتكثف عملياتها العسكرية ضد معاقل حزب «PKK» في الشمال العراقي. خلال العامين الماضيين شنت تركيا عدَّة عمليات عسكرية في الشمال العراقي بهدف ملاحقة مقاتلي «PKK» واجتثاث جذوره، وفي منتصف عام 2020م أطلقت عملية «مخلب النسر»، ومن ثمَّ تبعتها في فبراير 2021م عملية «مخلب النسر 2» في منطقة غارا بقضاء العمادية التابعة لمحافظة دهوك بإقليم كردستان. والعملية الثانية كانت تهدف إلى تحرير ثلاثة عشر أسيرًا تركيًا كانت تحتجزهم قوات حزب «PKK»، لكنها لم تؤتِ أكلها، بل إنَّ أنقرة اتهمت حزب «PKK» بقتل الأسرى خلال العملية، فيما ردَّ الحزب

بأنَّ القصف التركي لكهف في جبال غارا هو ما أودى بحياة الأسرى جميعهم⁽²²⁾. ولم تكف تركيا بهاتين العمليتين، بل ألحقت بهما العملية الثالثة «عملية مخلب البرق» في أبريل من العام الجاري⁽²³⁾.

على الجانب السوري، فسيطرة حزب «PYD» على أراض شاسعة في سوريا تطوّر يؤرّق الحكومة التركية التي ترى فيه تهديداً وجودياً لوحدها الوطنية، تحسباً لتفانم الحالة وصولاً إلى مطالبة القومية الكردية بدولة مستقلة. تركيا تُعدّ حزب «PYD» في سوريا وجناحه العسكري ووحدات حماية الشعب «YPG» مجرد فرع سوريّ من حزب العمّال الكردي «PKK»، وبالتالي تتعاطى معه ككيان إرهابي، لذا وقفت بكل ثقلها السياسي للحيلولة دون إشراك الحزب أو انخراطه في مباحثات السلام بشأن الأزمة السورية.

تزامنت الانتصارات الكردية المتوالية لطرد قوات «داعش» وحصار الرقة، منذ أكتوبر 2017م حتى إعلان الانتصار التام في مارس 2019م⁽²⁴⁾، مع حملات تركية عسكرية لمنع تشكيل منطقة حكم ذاتي يديرها الأكراد. فأغارت على مناطق السيطرة الكردية بعمليتين عسكريتين، الأولى «عملية درع الفرات» التي استمرت حتى مارس 2017م، ثم عملية «غصن الزيتون» التي استعادت من خلالها عفرين في مارس 2018م، ولا شك أنّ العمليتين كانتا بتتسيق مع القوات الروسية. إستراتيجياً، تركيا هدفها التوغّل في الأراضي السورية بعمق 32 كلم وعلى امتداد الشريط الحدودي بين البلدين والمقدّر بـ 460 كلم، لإنشاء منطقة آمنة بغية تقويض أيّ مشروع لتشكيل الحكم الذاتي للأكراد⁽²⁵⁾.

2. التعاطي الإيراني مع المسألة الكردية:

بالنسبة إلى إيران، تتفاوت تقديرات الإثنية الكردية بالداخل الإيراني، والأرجح أنها تقارب 10% من إجمالي سكان إيران، وإن ذهب المصادر الكردية إلى أبعد من ذلك. وكما هي حال الأقليات المتعددة في إيران، يعاني الأكراد من درجات خطيرة من التهميش والاضطهاد وسلب الحقوق المدنية والثقافية⁽²⁶⁾.

تاريخياً، شارك الأكراد في الثورة ضد الشاه، لكن الخميني وبعد أشهر من وصوله إلى سُدّة الحكم رأى في الطموحات الكردية «كفراً بالإسلام»، وحرّض قواته من الجيش والحرس الثوري على وأد التحركات الكردية في مهدها، ليذهب ضحية القمع الممنهج 10 آلاف مدني⁽²⁷⁾. الحزبان البارزان في ذلك الوقت كانا الحزب الكردستاني الإيراني الديمقراطي (KDPI) الذي كان يترأسه عبد الرحمن قاسملي (اغتاله النظام الإيراني عام 1989م)، وحزب «كومله» الذي يُعدّ نفسه ماركسياً لينينياً. وقد قُمع الحزبان وطورد أتباعهما رغم ما بين الحزبين من تمايزات داخلية، كان أبرزها يسارية الثاني، واكتفاء الأول بتأكيد مطالب الحكم الذاتي دون المطامع الانفصالية⁽²⁸⁾. خلال الحرب العراقية-الإيرانية، وكما استغلّت إيران عداؤ أكراد العراق لصدّام، استغلّت القوات العراقية كفاح الكرد المسلح ضد النظام الإيراني بقيادة الخميني.

عام 2004م شهد نشأة حزب الحياة الحرة الكردي (بيجاك-PJAK)، وهو التابع أيديولوجياً وتنظيمياً لحزب «PKK». وتتشعب بين الحزب والنظام الإيراني نزاعات متقطعة رغم إعلان الحزب وقف عملياته العسكرية منذ عام 2011م، وقد استمرت خلال العقد الماضي وصولاً إلى المرحلة الراهنة. وتشن إيران ضربات عسكرية على مواقع شمال كردستان العراق تقول إنها معاقل لحزب «PJAK».

تميل إيران إلى تغذية الفُرقة السياسية بين الحزبين البارزين في كردستان العراق، من منطلق اهتمامها بمسائل وحدتها الوطنية وضرورة كبح مساعي الحركات الكردية الإيرانية الانفصالية، لذا وإن اعترفت إيران بحكومة إقليم كردستان العراق فإنها بالتأكيد لا تريد كياناً كردياً موحداً في الداخل العراقي، كما لا تريد كياناً كردياً ذا حكم ذاتي في الشمال السوري للأسباب ذاتها، غير أن الحال في سوريا لها اعتبارات مختلفة بالنسبة إلى إيران، بخلاف حسابات الساحة الكردية في العراق، كونه لصيقاً بالحدود التركية لا الإيرانية، ممّا يخلق من الوجود الكردي هناك ورقة ضغط كبرى على تركيا.

خلال الحرب العراقية-الإيرانية، اغتتمت إيران كل وسيلة لتأجيج الأكراد ودعم نضالهم ضد صدام. وعبر السنوات الأربع من الحرب الأهلية بين حزبي «KDP» و«PUK» (1994-1998م)، ظهر على السطح التنافس التركي-الإيراني المحموم، فالدولة التركية اصطفت مع حزب «KDP» عندما كانت إيران الداعم الرئيسي لمعسكر حزب «PUK»، ولم تنته هذه الحرب إلا بوساطة أمريكية ومعاهدة سلام بين الطرفين سُميت باتفاقية واشنطن عام 1998م⁽²⁹⁾.

القاسم المشترك ما بين حزب «PUK» وإيران هو مناصبة العداء لحزب «KDP»، لذا يتحدث بعض المصادر عن وجود مباحثات ما بين إيران و«PUK» في 2017م بغية إنشاء خط أنبوب لتصدير النفط من السليمانية عبر إيران⁽³⁰⁾. وعلى ذات النهج فإنّ تزايد نفوذ إيران على الحكومة المركزية في بغداد من بعد سقوط صدام، حوّل إيران تأجيج ميليشياتها الشيعية في الداخل العراقي ضد حكومة إقليم كردستان لإنهاك قوى الحزب الحاكم (KDP) المدعوم من تركيا. أمّا في سوريا فتتشط الميليشيات الشيعية التابعة للحرس الثوري الإيراني، وتتحرك تحت غطاء قوات الأسد النظامية.

3. تفاقم الخلافات في قضاء سنجار:

لدى الجانب التركي مراكز عسكرية وضعها في الداخل العراقي منذ عقود، بهدف من خلالها إلى اجتثاث قوى حزب «PKK» التي تركن في الوقت الراهن إلى وعورة تضاريس منطقة جبال سنجار، إضافة إلى تمركزها المعتاد في جبال قنديل، للاختباء أو إثارة القلاقل ضد الحكومة التركية.

مؤخراً، ندّد سفير إيران لدى العراق، إيرج مسجدي، بانتهاك القوات التركية للأراضي العراقية، ممّا حدا بالجانب التركي إلى استدعاء سفير طهران في أنقرة،

محمد فرازمند، احتجاجاً على ما بدر من السفير الإيراني في بغداد، وتعالّت تكهنات إعلامية بدخول القوتين الإقليميتين في حرب باردة، لا سيّما بعد تفاقم حدة التوتر وصولاً إلى استدعاء الجانب الإيراني سفير تركيا لديها، دريا أورش⁽³¹⁾.

تقع منطقة قضاء سنجار في المثلث شمال-غرب العراق بمحاذاة كل من تركيا وسوريا، بالتحديد غرب مدينة الموصل ضمن محافظة نينوى من إقليم كردستان، وهو ما يمنحها أهمية إستراتيجية كبيرة. وقبل عام 2014م كانت منطقة تتنازع عليها الحكومة المركزية العراقية وحكومة إقليم كردستان، ومن ثم سقطت في قبضة تنظيم «داعش»، ممّا عرض سكانها الإيزيديين للاغتصاب والقتل والتهجير. قرابة 75% من سكانها إيزيديون كرد، فيما يفضّل بعضهم إظهار الهوية الكردية فقط، والبعض الآخر يشدّد على تميز المجتمع الإيزيدي وخصوصيته⁽³²⁾.

وبفضل مقاتلين أكراد من سوريا وكردستان العراق، وبدعم من التحالف الدولي، تحررت المنطقة في نوفمبر 2015م، ومن ثمّ بسطت الجماعات الكردية سيطرتها على جبال المنطقة منذ ذلك الحين، بمنّ فيهم «PKK» الذي حظي بشعبية جارفة في الأوساط الإيزيدية جرّاء مساندته لهم بعد البطش الداعشي الذي حل بهم في أحلك فتراتهم التاريخية، بتشبيده لممر آمن هُربّ سكان بلدات القضاء من خلاله.

أمّا الإستراتيجية الإيرانية في الإقليم فتتطوي على تعظيم بالغ لمنطقة جبال سنجار، عطفاً على إمكانية توظيفها معبراً سلسلاً لمقاتليها من الميليشيات الشيعية، علاوة على اتخاذها نقطة وصل للإمداد العسكري عبر الحدود. وقد وجدت فصائل من الميليشيات الشيعية المساهمة في معارك تحرير العراق ضد «داعش» طريقاً للانتشار في المناطق المحيطة بالقضاء⁽³³⁾.

قوات «PKK» تتوغل في مناطق إقليم كردستان، لا سيّما حيث الحنق الشعبي ضد «KDP» متفاقم كما هي الحال في السليمانية، أو في قضاء سنجار موطن الإيزيديين الذين يتهمون بيشمركة «KDP» بالتخلي عنهم وقت هجوم «داعش». «PKK» منذ وقت الاقتتال مع «داعش» ومن بعده استغل الفرصة بتوطين نفوذه في سنجار عبر بناء ميليشيات تدين بالولاء له، أهمها: «وحدات مقاومة سنجار» (YBS) و«قوات حماية إيزيدخان» (EPF).

قوات الحشد الشعبي الشيعية (PMF) تطورت علاقاتها مع «PKK» في ظل اشتراكهما في نفس المصير والمجابهة لذات الأعداء، ممّا حفز أبو مهدي المهندس نائب قائد قوات الحشد الشعبي السابق في عام 2019م لإبرام اتفاقية مع «PKK» مهدت الطريق لميليشيا «YBS» وغيرها من الميليشيات الإيزيدية التابعة لحزب «PKK» كي يتسنى لهم الدخول في قائمة الاستحقاقات المالية المخصصة لقوات الحشد الشعبي من قبل الحكومة الفيدرالية في بغداد⁽³⁴⁾.

4. حدود الموقف الأمريكي من المسألة الكردية

بعد قرار الرئيس الأمريكي السابق ترامب سحب قواته (ما يقرب من 2000 جندي) من سوريا في أكتوبر 2019م، تدخلت تركيا عسكرياً للمرة الثالثة في عملية أطلقت عليها «نبح السلام» لتجبر مئات الآلاف من المدنيين على النزوح من المنطقة التي سعت تركيا إلى تأمينها، ممّا أرغم قوات «قسد-SDF» على استجاء روسيا وقوات النظام السوري لمجابهة الخطر التركي. آلت الأمور إلى انسحاب القوات الكردية من الحدود مع تركيا، مع تشارك الدوريات الروسية والتركية في تمشيط المنطقة الحدودية باستثناء 120 كلم منها، الواقعة ما بين رأس العين وتل الأبيض، إذ غدت تحت سيطرة القوات التركية وحدها⁽³⁵⁾. ورغم التقدم التركي وما أسفرت عنه اتفاقيتها مع روسيا، فإنّ قوات «قسد» ما زالت تبسط نفوذها على مناطق شاسعة في الشمال الشرقي من سوريا شرق الفرات كما هو موضح في الصورة.

خريطة (1): نفوذ القوى المتنازعة على الأراضي السورية



المصدر: سبوتنيك، <https://bit.ly/3Drbt2r>

بالمقابل، تُعارض إيران الوجود الأمريكي على الأراضي العراقية، الذي يتخذ قواعد عسكرية في مدن كردستانية، كانت منطلق عديد من العمليات التي شنتها الولايات المتحدة على الحكومة العراقية المركزية، سواء في حرب الخليج 1991م أو عمليات الإطاحة بصدّام حسين في عام 2003م. ومعارضة إيران تنم عن تحوُّط من قبل النظام الإيراني مخافة أن يصيبه ما أصاب النظام البعثي في العراق.

في سوريا، الدعم الأمريكي للأحزاب الكردية يعقّد الإستراتيجية الإيرانية الداعمة لبشار الأسد، ويعرقل جهود محور المقاومة الإيراني الذي يمتد من طهران مروراً ببغداد إلى دمشق فيبيروت. تركيا من جهتها ترفض الدعم الأمريكي للأحزاب الكردية في سوريا، وترى في تغيير تسميات هذه الأحزاب حيلةً سياسية تقف خلفها العقلية الأمريكية التي ارتأت في القوة الكردية حليفاً جديراً بالثقة، لا سيّما في التغلب على «داعش»، مع السعي إلى تجنب استفزاز الحليف التركي.

رابعاً: الورقة الكردية ما بين تركيا وإيران.. تقاطع أم تضارب في المصالح؟

قد تبدو الورقة الكردية لأوّل وهلة محطّ التعاون الإستراتيجي بين تركيا وإيران بغية إخماد جذوة الطموح الكردي إلى الاستقلال، لكنّ الحالة الكردية بالنسبة إليهما يعترها عديد من التشابكات التي باتت في معظمها محطّ الخلاف والتناوب العلني.

قبل أن نتطرق إلى مواضع الخلاف في الورقة الكردية بين الطرفين، تجدر الإشارة إلى تعاون الطرفين في مجالات معيّنة، نوجزها في النقاط الثلاث الآتية:

1. تعاون شكليّ ضد الإرهاب:

كما في عام 2019م حين وقع الطرفان الإيراني والتركي على مذكرة تفاهم لتعزيز التعاون الأمني على الشريط الحدودي بينهما، ورغم تصريح تركيا قيامها بعمليات مشتركة ضد مواقع حزب «PKK» بعد الاتفاقية، فإنّ إيران سارعت إلى نفي الخبر، ممّا أثار الشكوك حول وجود التعاون العسكري بين الطرفين ضد الأكراد في العراق⁽³⁶⁾. منصات كردية أكدت في التاسع من سبتمبر 2020م أنّ هجمات تركية ضد مقاتلي حزب «PKK» في شمال العراق، تزامنت مع هجمات عسكرية شنتها قوات الحرس الثوري الإيراني على مواقع قريبة من معاقل حزب «PJAK» في كردستان العراق⁽³⁷⁾. تجدر الإشارة إلى أنّ الضربات الإيرانية لم تتسبّب في أيّ خسائر بشرية، وإنما ألحقت أضراراً مادية بمزارع القرويين الأكراد، وفيه دلالة على أنّ مضمون الاتفاقيات شكليّ أكثر منه تطبيقاً على أرض الواقع.

2. تعاون وثيق ضد قيام الدولة القومية الكردية:

وهو أمر ظهر للعيان في مظاهرات الطرفين لاستفتاء الاستقلال الذي أقامه إقليم كردستان العراق في عام 2017م، كما يظهر حاليًا في توافقهما حيال كبح الجموح الكردي في سوريا مخافة أن تتحوّل السيطرة الكردية على الشمال الشرقي من سوريا إلى حكم ذاتي مرتبط بالحكم الذاتي للأكراد في الشمال العراقي.

3. تصدُّ فرديًا للتهديدات الداخلية:

كما يتبدّى في قمع الحركات الانفصالية وتضييق الخناق على الجماعات الكردية المتعاطفة معها من أنّ توتّر في مسار القرار السياسي داخل البلدين. ومن جانب آخر، يتضح تضارب المصلحة التركية-الإيرانية في الملف الكردي في النتائج السياسيّة الآتية:

أ. احتمال تزايد وتيرة الصدام في قضاء سنجان: أثارت تطورات قضاء سنجان الضجة لأسباب عدّة، أبرزها: أنها تتبى بصراع تركي-إيراني محموم في قادم الأيام، لذا فالعمليات العسكرية التركية ضد مواقع حزب «PKK» تحمل في طياتها تحديًا صارخًا للأهداف الإيرانية، ومن المحتمل أن تسفر في المستقبل عن صدام مباشر بين ميليشيات شيعية عراقية تآتمر بأمر إيران مع الجانب التركي.

تطورات الصدام في قضاء سنجان من شأنها أن تكشف عن تعقيدات حاسمة بين الطرفين التركي والإيراني في قادم الأيام، لا سيّما أن الطرف التركي يعتلي سُلّم أولوياته. فهناك المشكلة الأمنية التي يخلقها وجود حزب «PKK» في سنجان والشمال العراقي، فيما يكثر الطرف الإيراني لإمدادات السلاح وتنقل ميليشياته الولائية عبر الحدود العراقية السورية.

ب. تقارب الميليشيات الشيعية مع توجّهات «PKK» بما يهدد مصالح تركيا: المهّدّ الحقيقي لتركيا هو التقارب الإيراني ممثلًا في ميليشيات الحشد الشعبي التابعة لإيران مع حزب «PKK» في كردستان العراق. الفصائل والنخب القيادية الشيعية تجد مشتركات براغماتية مع حزب «PKK»، لذا أبدى الطرفان اعتراضهما على اتفاق حكومة العراق المركزية مع حكومة إقليم كردستان، الموقع في أكتوبر 2020م، بشأن قضاء سنجان، بموجبه يتعيّن إخلاء المنطقة من جميع القوات المسلحة، بما فيهم الحشد الشعبي وحزب «PKK». قيادات فصائل الحشد الشعبي، وعصائب أهل الحق، والنجباء، وكتائب حزب الله، اجتمعت في نهاية فبراير 2021م مع قيادات الحرس الثوري لمناقشة ما وصفوه بنية تركيا افتحام قضاء سنجان. وبناءً على تقارير الإعلام التركي المحلي، فإنّ الحشد الشعبي أرسل ما يقرب من 15 ألف مقاتل إلى منطقة قضاء سنجان لمجابهة التدخلات التركية⁽³⁸⁾.

خريطة (2): السيطرة في شمال العراق



المصدر: مركز الإمارات للسياسات، <https://bit.ly/3C0KbD>.

ج. شقاقتا الداخل الكردي ومنح إيران وتركيا أدوات للمناكفة: بعد استفتاء عام 2017م، كانت ميليشيات الحشد الشعبي (PMF) هي الرابح الأكبر من الشقاق الداخلي ما بين «KDP» و«PUK»، وخلال أزمة كركوك التي أسفرت عن انسحاب قوات البيشمركة لإقليم كردستان، واستيلاء القوات العراقية على المدينة مدعومة بقوات الحشد الشعبي التي باتت مستوطنة في كركوك والموصل وقضاء سنجار. إيران تعول كثيراً على الشقاقتا الداخلية، فهي تستفيد من التوترات التي تحدث ما بين «PKK» و«KDP» أو بين «PUK» و«KDP»، لاستغلالها في الضغط على تركيا وحليفها حاكم إقليم كردستان (KDP).

مناطق وأحزاب عديدة في الداخل الكردستاني تميل نحو حزب «PKK»، لا سيما من بعد تزايد الامتعاض الشعبي والسياسي إزاء ما يعتقدون أنه فساد إداري يحدث بموجب القرارات المتخذة من قبل الحزب الحاكم في الإقليم (KDP). على سبيل المثال، حركة المعارضة الكردستانية (حركة التغيير Gorran) من بعد حادثة طرد ممثليها في البرلمان الكردستاني من قبل مسعود بارزاني قائد حزب «KDP»، لتتبع الحركة في السليمانية وتوطد علاقتها ودعمها لحزب «PKK»⁽³⁹⁾.

تركيا تحظى بعلاقة متينة بحزب بارزاني (KDP)، وقد انطوت علاقتها مؤخراً على قبول -ولو ضمني- بالهجمات التركية المتلاحقة على معقل حزب «PKK»، مما يعمق الهوة بين الأحزاب الكردية داخلياً ويؤجج نفوسهم نحو الاقتتال من جديد وصولاً إلى حرب أهلية جديدة، سيتدخل فيها دون ريب الطرفان التركي والإيراني. فالشقاق الداخلي الكردي يفتح مجالاً أمام القوى الإقليمية لاستغلال الأحزاب الكردية في حروب بالوكالة،

لا سيّما أمام القوتين الإيرانية والتركية اللتين ما فتّتا تتنافسان على مد نفوذهما في العراق وسوريا المتهاويتين.

د. زيادة تأثير تركيا في سوريا وتعويل إيران على أدوار ميليشياتها في العراق وسوريا: إيران تعوّل على ميليشياتها المسلحة لمد نفوذها العسكري ومن ثمّ تمرير سياساتها وأجندتها المرغوبة. وخير دليل على تنامي الضغوط التي تمارسها ميليشيات الحشد الشعبي ضد حكومة إقليم كردستان والعاصمة أربيل، هو تصاعد عمليات الاستهداف للمصالح والمقارّ الدبلوماسية والعسكرية الدولية في الإقليم، التي تقف خلفها الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران، في حين أنّ انسحاب ترامب من سوريا أفضى إلى زيادة تأثير تركيا وزاد من فرص تحقيقها لأهدافها، وبين هذا وذاك تتصادم المصالح التركية والإيرانية تبعاً لضعف الحكومات المركزية في البلدين سوريا والعراق.

هـ. اختلاف النهج الأمريكي تحت إدارة بايدن الحريصة على الأكراد حتى الآن: على المستوى الدولي، لن يكون توجه الإدارة الأمريكية بقيادة بايدن على ذات توجهات إدارة ترامب من الانسحاب التدريجي، فإدارة بايدن تريد أن تكون لاجاً أساسياً في إقرار مآل الأزمة السورية، ورغم إعلان الحكومتين العراقية والأمريكية عن تحويل مهامّ القوات الأمريكية إلى مجرد أدوار استشارية، فإنّ الوجود الأمريكي في سوريا لن يتغير وضمن أهمّ أهدافه دعم القوات السورية الديمقراطية (قسد SDF)، بالتنسيق مع حليفه الإقليمي إسرائيل.

خلاصة

رغم ما يكتنف العلاقة التركية-الإيرانية من تباين عميق في الرؤى الإستراتيجية الإقليمية والتوجهات الأيديولوجية، فإنّ الطرفين سيقا بدوافع عدّة، أسهمت في إرساء حالات تعاونية حيّدت مسائل الخلاف خلال الأعوام الأربعة السابقة. خير شاهد على هذه الحالة التعاونية اتضح في سياق معارضة البلدين لاستفتاء كردستان العراق عام 2017م. وتخلّص الدراسة إلى أنّ الورقة الكردية ككل لم تكن محط التعاون بين البلدين، بل شابها عديد من الاختلافات عطفاً على تمايزات بالداخل الكردي، وتطورات فرضها ضعف الحكومة المركزية في سوريا والعراق، علاوةً على توجّهات إقليمية ودولية مختلفة كشفت عن منعطفات الشقاق التركي-الإيراني في تعاطيها مع الأطراف الكردية.

يكمُن الخلاف بين الطرفين في سياقات عدّة، أهمها: التنافس في قضاء سنجار ما بين تركيا وحزب «KDP» من جهة، وحزب «PKK» والميليشيات الشيعية العراقية التابعة لإيران من جهة أخرى، فضلاً عن توافق الميليشيات الشيعية الإيرانية وحزب «PKK» في غاياتهم النهائية، رغم ما يكتنف أساساتهم الفكرية والأيديولوجية من تباين، ممّا ينبئ عن صدام مباشر بين تركيا وإيران في قادم الأيام. بالإضافة إلى تصميم الدولتين على دعم أحزاب كردية متناحرة طمعاً في تحقيق مصالحهما الذاتية المتضاربة، كما أنّ

حالة اللا دولة في العراق وسوريا تنطوي بلا شكّ على تنافس محموم بين إيران وتركيا المتيقظتين للمتغيرات الإقليمية والدولية الطارئة، من مثل توجهات إدارة بايدن المغايرة لنهج إدارة ترامب السابقة.

المراجع والمصادر

- (1) Andrew Kane, "The Reality of Intra-Kurdish Rivalry Undermines the Notion of PanKurdish Nationalism," SciencesPo Kuwait Program, Oct 2017, Accessed: 03 July, 2021, <https://bit.ly/3BZBLsY>.
- وانظر: بي بي سي عربي، من هم الإيزيديون؟، (08 أغسطس 2014م)، تاريخ الاطلاع: 25 يوليو 2021م، <https://bbc.in/2V0oT5r>.
- Mahmut Aytakin, "PKK Terrorist Organization," Research Gate, Mar 2016, accessed: 01 Aug, 2021, <https://bit.ly/2TNu1sV>.
- (3) باسنيز، أدت إلى مقتل 182 ألف إنسان كُردي.. أحدثكم عن جريمة «الأنفال» في ذكرها الـ33، (14 أبريل 2021م)، تاريخ الاطلاع: 20 يوليو 2021م، <https://bit.ly/3rO6btB>.
- (4) درج، تحرير كردستان من صدام حسين والثقة معدومة بين الكرد والشيعية، (11 يناير 2021م)، تاريخ الاطلاع: 01 أغسطس 2021م، <https://bit.ly/3rJgsas>.
- (5) Michael M. Gunter, "Turkey and Iran Face off in Kurdistan," Middle east Forum – ME Quarterly, Mar 1998, Volume 5: Number 1, Accessed: 02 July, 2021, <https://bit.ly/3likg0X>.
- (6) Inga Rogg and Hans Rimscha, "The Kurds as parties to and victims of conflicts in Iraq," International Review of the Red Cross, Dec 2007, accessed: 28 July, 2021, <https://bit.ly/2VgdnCK>.
- (7) Nussaibah Younis, "Why Turkey should stay out of Sinjar," European Council on Foreign Relations ecf, 24 Feb, 2021, accessed: 25 July, 2021, <https://bit.ly/3lgwAPu>.
- (8) Rami Jameel, "The Iraqi and Kurdish Regional Government's Sinjar Agreement: Consequences for U.S., Turkish, and Iranian Influence and Rebel Rivalries," The Jamestown Foundation, 17 Dec, 2020, accessed: 27 July, 2021, <https://bit.ly/3rZdoHv>.
- (9) "The Kurds' Quest for Independence from 1920–2021," Council on Foreign Relations CFR, Feb 2021, Accessed: 05 July, 2021, <https://on.cfr.org/3icmrkO>.
- (10) Suhail al-Ghazi, "Kurdish-Kurdish Negotiations in Syria," The Tahrir Institute for Middle East Policy, 14 May, 2021, accessed: 20 July, 2021, <https://bit.ly/3limAFd>.
- (11) Guney Yildiz, "The Changing Dynamics of Kurdish Politics in the Middle East," The Centre for Historical Analysis and Conflict Research CHACR, 06 July, 2017, accessed: 08 July, 2021, <https://bit.ly/3ykv2rl>.
- (12) Suhail al-Ghazi, "Kurdish-Kurdish Negotiations in Syria." Ibid.
- (13) Wladimir van Wilgenburg, "The Future of the Syrian Democratic Forces: One Year after the Liberation of Baghouz and the Turkish Invasion," The London School of Economics (LSE) Middle East Center, 14 Dec, 2020, accessed: 09 July, 2021, <https://bit.ly/2VmrK8y>.
- (14) بي بي سي عربي، الأكراد وحلم الدولة التاريخي، (06 سبتمبر 2017م)، تاريخ الاطلاع: 10 أغسطس 2021م، <https://bbc.in/3s7l3TP>.
- Michael M. Gunter, "Turkey and Iran Face off in Kurdistan," Ibid.
- (15) العربية، بعد تفجير أنبوب.. إيران توقف تصدير الغاز إلى تركيا، (31 مارس 2020م)، تاريخ الاطلاع: 10 أغسطس 2021م، <https://bit.ly/3jzqDL2>.
- (17) انظر: عمار مرعي الحسن، التنافس التركي-الإيراني للسيطرة على العراق بعد عام 2003م، بغداد، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، 2014م، ص 111-156.
- (18) المعهد المصري للدراسات، الجذور التاريخية للقضية الكردية، (18 مايو 2017م)، تاريخ الاطلاع: 11 أغسطس 2021م، <https://bit.ly/3GL0xi0>.
- (19) معمر فيصل الخولي، العلاقات التركية-الروسية من إرث الماضي إلى آفاق المستقبل، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات)، أبريل 2014م، ص: 16-12.
- (20) Arzu Yilmaz, "The Changing Dynamics of the Kurdish Question," SWP German Institute for International and Security Affairs, 31 Oct, 2018, accessed: 30 June, 2021, <https://bit.ly/3j1rfZC>.
- (21) الحرة، في وقت غير متوقع.. أردوغان وحلفاؤه يستأنفون قضية حلّ «حزب الشعوب»، (08 يونيو 2021م)، تاريخ الاطلاع: 23 يوليو 2021م، <https://arbne.ws/3xkMhHE>.
- (22) Kareem Fahim, "Kurdish militants executed 13 Turkish citizens in Iraq, Turkey says," The Washington Post, 14 Feb, 2021, accessed: 09 July, 2021, <https://wapo.st/3tkS7Hv>.

- (23) إندبندنت عربية، «مخلب البرق» التركي يتغلغل في شمال العراق، (24 أبريل 2021م)، تاريخ الاطلاع: 11 أغسطس 2021م، <https://bit.ly/3AAfEii>.
- (24) "The Kurds' Quest for Independence from 1920–2021," Ibid.
- (25) Wladimir van Wilgenburg, "The Future of the Syrian Democratic Forces: One Year after the Liberation of Baghouth and the Turkish Invasion," Ibid.
- (26) بشير عبد الفتاح وروشن قاس، قنبلة الأقليات في إيران.. ومهاباد الشراة، الشرق الأوسط، (20 مايو 2015م)، تاريخ الاطلاع: 03 أغسطس 2021م، <https://bit.ly/3xiuYXX>.
- (27) الحرة، مجاز الحرس الثوري.. 40 عامًا على فتوى الخميني التي قتلت آلاف الأكراد، (21 أغسطس 2019م)، تاريخ الاطلاع: 03 أغسطس 2021م، <https://arbne.ws/3zZXNda>.
- (28) Martin Van Bruinessen "Major Kurdish Organizations in Iran," Middle East Report 141, July/August, 1986, accessed: 29 July, 2021, <https://bit.ly/3rRZZAP>.
- (29) Alan Makovsky, "Kurdish Agreement Signals New U.S. Commitment," Washington Institute, 29 Sep, 1998, accessed: 01 Aug, 2021, <https://bit.ly/37b3B7B>.
- (30) Bilal Wahab, "Iran's Warming Relations with the PKK Could Destabilize the KRG," Washington Institute, 06 Feb, 2021, Accessed: 02 Sep, 2021, <https://bit.ly/3A6k7Cg>.
- (31) إيران إنترناشيونال، استدعاء متبادل للسفراء بين إيران وتركيا.. بسبب العراق وحزب العمال الكردستاني، (28 فبراير 2021م)، تاريخ الاطلاع: 02 أغسطس 2021م، <https://bit.ly/3vozNiq>.
- (32) Harith Hasan and Kheder Khaddour, "The Making of the Kurdish Frontier: Power, Conflict, and Governance in the Iraqi–Syrian Borderlands," Carnegie Endowment, Mar 2021, accessed: 03 Aug, 2021, <https://bit.ly/3rSKnNo>.
- (33) مونت كارلو الدولية، العراق: مخاوف من توترات جديدة في سنجار شمال البلاد بعد ستة أعوام على رحيل الجهاديين، (27 فبراير 2021م)، تاريخ الاطلاع: 05 يوليو 2021م، <https://bit.ly/2OCwRhA>.
- (34) Rami Jameel, "The Iraqi and Kurdish Regional Government's Sinjar Agreement: Consequences for U.S., Turkish, and Iranian Influence and Rebel Rivalries," Ibid.
- (35) فابريس بالونش، فشل نظام الأسد في استعادة السيادة الكاملة على الأراضي السورية، معهد واشنطن، (10 فبراير 2021م)، تاريخ الاطلاع: 02 سبتمبر 2021م، <https://bit.ly/2U6YRwN>.
- (36) Andrew Wilks, "Turkey announces joint raids with Iran against Kurdish rebels," Aljazeera, 18 Mar, 2019, accessed: 02 Aug, 2021, <https://bit.ly/3ltig1f>.
- (37) Khrush Najari, "Iran and Turkey agree to fight PKK together, IRGC shells Kurdistan Region," Kurdistan24, 09 Sep, 2020, accessed: 26 July, 2021, <https://bit.ly/3lvci54>.
- (38) Dorian Jones, "Turkey–Iran Tensions Rise as Ankara Expands Operations in Iraq," VOA News, 02 Mar, 2021, accessed: 02 Aug, 2021, <https://bit.ly/2Oy7OfB>.
- (39) Bilal Wahab, "Iran's Warming Relations with the PKK Could Destabilize the KRG," Ibid.